السرديات الطائفية وآليات الاستقطاب في سياق الحرب

التقرير - **الأول**

HEINRICH BÖLL STIFTUNG
بيروت
الشرق الأوسط

تم إعداد هذا البحث بدعم مالي من مؤسسة هينرش - بُل مكتب الشرق الأوسط.
الآراء الواردة هنا تعبّر عن رأي «الجمعية اللبنانية من أجل ديمقراطية الانتخابات»
وبالتالي لا تعكس بالضرورة وجهة نظر مؤسسة هينرش - بُل.

التقرير الأول

السرديات الطائفية وآليات الاستقطاب في سياق الحرب

إعداد: د. روي الجريجيري

lade.org.lb

مقدّمة

شهدت الساحة السياسية، منذ تشرين الأول ٢٠٢٣، أي مع انطلاق العمليات العسكرية في غزّة ودخول حزب الله المعركة ضد إسرائيل من جبهة الجنوب اللبناني، تصاعدًا ملحوظًا في الانقسام السياسي انعكس استمرارًا في تعطيل عمل المؤسّسات الدستورية من جهة، وارتفاعًا في حدّة الخطاب التحريضي في الفضاء العام من جهة أخرى. وقد أدّت الأعمال الحربية التي اندلعت على نطاق واسع في لبنان في أيلول ٢٠٢٤، واستمرّت لمدّة ٦٦ يومًا، إلى تعميق حالة الاستقطاب السياسي والطائفي.

لكن ذروة هذا الاستقطاب برزت مع اندلاع المرحلة الثانية من العمليات العسكرية الموسّعة بدءًا من ٢ آذار ٢٠٢٦، والتي دفعت الخطابات العدائية والتحريضية إلى مستويات غير مسبوقة على منصّات التواصل الاجتماعي. الأسباب عديدة، بعضها مرتبط بالمشهد السياسي الداخلي، مع انتخاب رئيس للجمهورية في كانون الثاني ٢٠٢٥ وتشكيل حكومة أقرّت في بيانها الوزاري مبدأ حصر السلاح في يد الدولة، وبعضها مرتبط بتغيّرات في ميزان القوى إقليميًا مع شنّ الولايات المتّحدة وإسرائيل حربًا مفتوحة على إيران في الفترة نفسها. كما لا يمكن فصل ذلك عن أسباب بنيوية مرتبطة بالنظام السياسي اللبناني وضعف المؤسّسات الرسمية في إدارة الاحتقان الداخلي.

في تلك الفترة إذًا، ومع تصاعد التوتّرات الأمنية واتّساع رقعة الدمار والخسائر البشرية، تحوّلت المنصّات الرقمية إلى فضاءات مكثّفة للتعبئة وتبادل الاتّهامات وتكريس الانقسامات السياسية والطائفية. كما ساهم الانتشار السريع للمحتوى العالي النبرة والاستقطابيّ في تعزيز الردود الانفعالية، وتكريس منطق «نحن» و«هم» في النقاشات العامة على المنصّات الرقمية.

يهدف هذا التقرير، من خلال تحليل عيّنة من الخطاب المنتشر على وسائل التواصل الاجتماعي خلال تلك الفترة، إلى الإجابة عن الإشكالية التالية: كيف يُعاد إنتاج الخطاب التحريضي والطائفي عبر المنصّات الرقمية في سياق الحرب؟

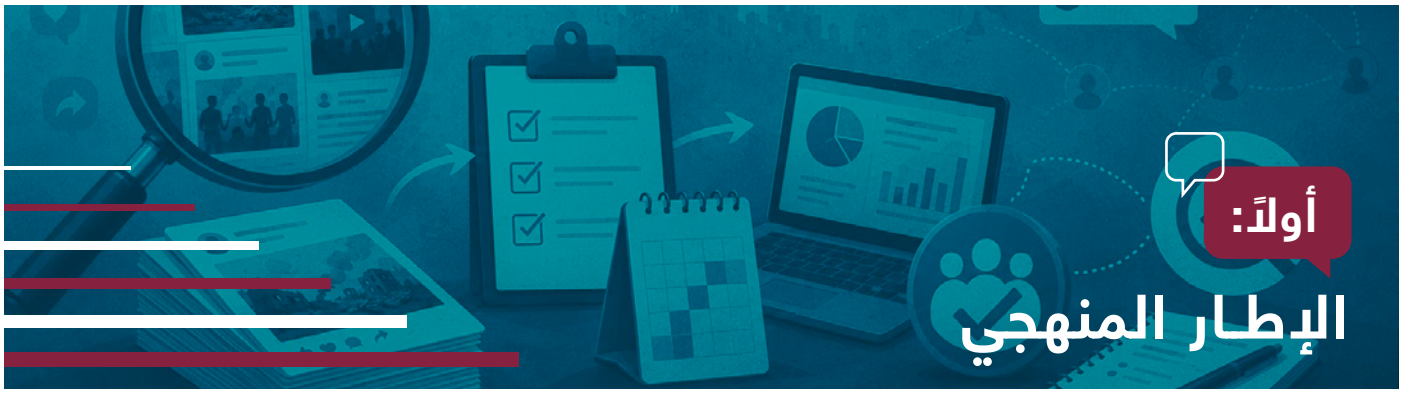

أولاً:
الإطار المنهجي

يستند هذا التحليل إلى مقاربة نوعية ترتكز على تحليل الخطاب والتأطير (Framing)، من خلال دراسة عيّنة من المضامين المتداولة على منصّات التواصل الاجتماعي خلال شهري آذار ونيسان ٢٠٢٦. تتمثّل العينة بعدد من الموادّ التي جرى رصدها خلال تلك الفترة، علمًا أن جزءًا من عملية الرصد تم بالتعاون مع منصّة «صواب» (Sawab)، إضافة إلى ملاحظات مرتبطة بأنماط التفاعل والخطابات المتداولة في الفضاء الرقمي في المرحلة نفسها.

لا يقتصر التحليل على مضمون الأخبار أو الصور أو الفيديوهات المتداولة بحدّ ذاتها، بل يشمل أيضًا التفاعلات التي رافقتها، وخصوصًا التعليقات والمشاركات وأنماط إعادة التداول، باعتبارها جزءًا أساسيًا من إنتاج المعنى داخل البيئة الرقمية. ففي الإعلام الرقمي، لا يتحدّد تأثير المحتوى فقط من خلال المعلومات التي يتضمّنها، بل أيضًا من خلال كيفية تفاعل المستخدمين والمستخدمات معه، وإعادة تأويله وتوظيفه ضمن سياقات سياسية أو طائفية أو هوياتية مختلفة.

كما ينطلق التحليل من فكرة أن المنصّات الرقمية لا تشكل مجرّد فضاءات محايدة لتداول المعلومات، بل بيئات تسمح بإعادة إنتاج الانقسامات السياسية والطائفية وتعزيزها، خصوصًا في سياقات الحرب والتوتّرات الأمنية. لذلك، جرى التركيز على مضامين الخطابات والتفاعلات التي تعكس آليّات الاستقطاب، الخوف، نزع الشرعية وإعادة رسم الحدود الرمزية بين الجماعات داخل الفضاء الرقمي اللبناني.

أخيرًا، رغم أن جزءًا من العيّنة يرتبط بمضامين مضلّلة أو مفبركة، فإن أهمية التحليل لا تنحصر في التحقّق من صحّة المحتوى نفسه، بل أيضًا في فهم طبيعة الخطابات والتفاعلات التي أنتجها، وكيفية توظيفه داخل السجال السياسي والطائفي على المنصّات الرقمية.

ثانيًا:

الخطاب التحريضي وإعادة إنتاج الانقسام الطائفي والسياسي

إن الاستقطاب في الحالة اللبنانية ليس وليد الساعة، بل هو امتداد لانقسامات ميّزت المشهد السياسي اللبناني المنبثق بعد الحرب الأهلية اللبنانية وتمثل في أزمات متكرّرة منذ العام ١٩٩١. فبعد أكثر من ثلاثة عقود، لا تزال أسباب الاستقطاب قائمة، لكن الحرب المشتعلة على نطاق واسع في آذار ٢٠٢٦ وانسداد الأفق السياسي شكّلا عاملاً رئيسًا لتكثيف الخطابات العدائية. في المقابل، ساهم تحوّل المشهد الإعلامي والاتّصالي، مع بروز المنصّات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي، في إعادة إنتاج هذا الانقسام وتكثيفه. فتقنيّات الاتصال هذه تعمل في الوقت نفسه على توسيع فرص المشاركة من جهة، وعلى تكثيف الخطابات العدائية والتحريضية من جهة أخرى.

في الواقع، تُعزّز المنصّات الرقمية الاستقطاب من خلال إعطاء الأولوية للمحتوى القادر على إثارة التفاعل والانفعال، خصوصًا المضامين المشحونة بالغضب، الخوف، الجدل أو المواجهة. كما تعمل الخوارزميات على زيادة معدّلات التفاعل من خلال التوصية بمحتويات متشابهة أو مثيرة للانقسام، ما يساهم في تكثيف المواجهات الرقمية وتفتيت النقاش العام إلى جماعات متعارضة. في هذا السياق، يساهم المحتوى المضلّل في تفعيل هذا الاستقطاب، ليس بالضرورة عبر خلق انقسامات جديدة، بل من خلال إعادة تنشيط الانقسامات القائمة، وإعادة تأويل الأحداث ضمن أطر طائفية وسياسية متعارضة.

ثالثًا:
أنماط السرديّات الاستقطابية

ضمن هذا المناخ السياسي والطائفي المشحون الذي شهدته مرحلة آذار-نيسان ٢٠٢٦، برزت على منصّات التواصل الاجتماعي مجموعة من السرديات الاستقطابية التي أعادت تفسير الأحداث والصور والمضامين المتداولة ضمن أطر عدائية وتحريضية. ولم تقتصر هذه السرديات على مضمون الأخبار المتداولة نفسها، بل امتدّت إلى طبيعة التفاعلات والتعليقات التي رافقتها.

من خلال تحليل عيّنة من هذه المضامين والتفاعلات الرقمية المرتبطة بالحرب، تم رصد أربع سرديات استقطابية رئيسية:

١- سرديات التخوين والتآمر

ظهرت سرديات التخوين في عدد من المضامين التي اتهمت أطرافًا سياسية أو طائفية بالتواطؤ أو «الخيانة»، خصوصًا في النقاشات المرتبطة بالأعمال الحربية الدائرة، العلاقة مع إسرائيل، العلاقة مع إيران، أو بالمفاوضات المباشرة مع إسرائيل التي طُرحت خلال المرحلة الأخيرة من الحرب. تحوّلت هذه المضامين المكوّنة من أخبار وصور متداولة بالإضافة إلى التعليقات حولها إلى أدوات لإعادة تأكيد الانتماءات السياسية والطائفية، حيث أعيد تفسير الأحداث ضمن منطق التخوين والتآمر.

على سبيل المثال، بعيد وقف إطلاق النار وتحديدًا بتاريخ ٢٣ نيسان ٢٠٢٦، تم تداول صورة مرفقة بعبارة «خبر عاجل» قيل إنّها توثّق انهيارات أرضية في الضاحية الجنوبية لبيروت بسبب وجود شبكة أنفاق تحت الأرض. ومع أن الصورة التي أعادت نشرها مواقع إلكترونية عدّة مفبركة، فهي شكّلت مناسبة لاتّهام حزب الله من جهة، واتّهام خصومه من جهة أخرى، بالعمالة والخيانة والتآمر. كما حملت بعض التعليقات اتّهامات ضمنية بالتستر وإخفاء معلومات تتعلق بحزب الله والبنية الأمنية للضاحية الجنوبية لبيروت، فيما عكست تعليقات أخرى قراءة أمنية لتلك المنطقة، من خلال تعميم صورة النفق المفترض على الحيّز الجغرافي والاجتماعي بأكمله وربطه بفكرة التهديد والخطر الأمني.

بالتالي، تحوّلت التعليقات إلى ساحة للمواجهة السياسية والطائفية وتبادل الاتهامات بين المستخدمين والمستخدمات. وغلب على كثير من هذه التفاعلات الطابع الانفعالي والغاضب أكثر من التحقق من صحّة المحتوى نفسه، رغم أن العديد من التعليقات شكّكت في صحّة الصورة.

في مثال آخر، جرى، بتاريخ ٩ نيسان ٢٠٢٦، تداول صورة مولّدة بالذكاء الاصطناعي تظهر سفيرة لبنان في واشنطن إلى جانب سفير إسرائيل وهما يبتسمان، وذلك عقب تصعيد عسكري إسرائيلي كان الأوسع على لبنان والعاصمة وفي سياق الجدل المرتبط بالمفاوضات المباشرة مع إسرائيل قبل انطلاقها بعد أسبوع. وقد تحوّلت الصورة بدورها إلى مادّة لخطابات التخوين والتشكيك والاتّهامات المتبادلة. وقد ساهم الطابع العاطفي للمضامين المتداولة، خصوصًا في ظل تصاعد حدّة العنف وارتفاع الخسائر البشرية، في تسريع انتشار هذا النوع من التفاعلات العدائية.

لم تقتصر سرديات التخوين على الحالات المرتبطة بالأخبار المضلّلة، بل ظهرت أيضًا في عدد واسع من التفاعلات المرتبطة بالأحداث الحاصلة، حيث ركّزت الخطابات المعارضة للحرب أو لحزب الله على تعابير متكررة مثل «خطف قرار الدولة»، «تنفيذ أجندة إيرانية»، «عملاء إيران»، «التضحية بلبنان»، «القتال من أجل إيران». في المقابل، تمحورت تعابير الفريق المؤيد لحزب الله حول: «عملاء إسرائيل/أميركا»، «صهاينة الداخل»، «التحريض ضد المقاومة»، «البيئة الحاضنة للعدوان»، «تغطية الجرائم».

بذلك، لم تكن الأخبار والصور المتداولة تُستخدم فقط لنقل المعلومات أو تداولها، بل تحوّلت إلى أدوات لإعادة إنتاج الاصطفافات السياسية والطائفية وتكريس منطق الشكّ والتخوين داخل الفضاء الرقمي. وفي الكثير من الأحيان، لم تكن الخلافات تدور حول الموقف السياسي نفسه، بل حول شرعية الانتماء الوطني والأخلاقي للطرف الآخر.

٢- السرديات المرتبطة بالانتماء الطائفي والهوية

لم يقتصر الاستقطاب خلال الحرب على الانقسام السياسي المباشر، بل امتد إلى إعادة تفعيل الهويات الدينية والطائفية داخل النقاشات في الفضاء الرقمي. فقد ظهرت، في مراحل معينة، تعليقات تقرأ الأحداث والمواقف من زاوية الهوية والانتماء الطائفي، بحيث جرى ربط هذه الأحداث أو المواقف بانقسامات اجتماعية أو دينية قائمة مسبقًا، سواء تلك المرتبطة بالاستقطاب السني-الشيعي، وبالنقاشات المتعلّقة بهوية لبنان وانتمائه العربي ودور الطوائف المختلفة في النظام السياسي، أو بالمواقف المتباينة من حزب الله ومن الحرب الدائرة.

على سبيل المثال، مع اتّساع رقعة القصف الإسرائيلي وارتفاع أعداد الضحايا، جرى التعامل مع المناطق المستهدفة خلال الحرب بوصفها امتدادات لهويات طائفية وسياسية مغلقة وليس كفضاءات جغرافية فقط. فتحوّلت أسماء مناطق مثل الضاحية الجنوبية لبيروت أو بعض قرى الجنوب إلى مؤشّرات على الانتماء السياسي والطائفي ضمن الخطاب الرقمي. هذا الربط بين المناطق المستهدفة وانتمائها الطائفي أو السياسي المفترض والمعمّم ساهم في تعميق الاستقطاب، بحيث بدا أحيانًا وكأن الحرب تُقرأ من خلال سؤال: من هي الفئة التي تتعرض للقصف؟ ومن يدفع ثمن الحرب؟ كما برزت نقاشات مرتبطة باستهداف مناطق تصنّف ذات غالبية سكانية مسيحية أو سقوط ضحايا مسيحيين، حيث اعتبر بعض المستخدمين والمستخدمات أن فئات معيّنة، في تصنيف مفترض ومعمّم أيضًا مرتبط بالفضاء الجغرافي، تُدفع إلى تحمل نتائج صراع لا يعكس خياراتها السياسية. هذا الأمر انسحب أيضًا على النقاشات التي كانت تدور حول استهداف أحياء داخل بيروت الإدارية تصنّف كذات أغلبية سنّية.

بذلك، لم تعد الهويات الطائفية والسياسية تظهر فقط من خلال المواقف المعلنة تجاه الحرب، بل أيضًا عبر طريقة قراءة الضحايا والدمار والمناطق المستهدفة. فبدا أحيانًا وكأن كل منطقة تُختزل في انتمائها السياسي أو الطائفي، وكأن الخسائر البشرية والمادية تُعاد قراءتها ضمن منطق الجماعات المتنافسة أكثر من قراءتها بوصفها خسائر تطال المجتمع اللبناني ككلّ، أو كأن بعض المناطق أصبحت تُقرأ بوصفها فضاءات مغلقة أو غير مرحّبة بفئات طائفية معينة.

لا يمكن طبعًا تجاهل أن بعض النقاشات ارتبطت بمخاوف أمنية فعلية ناتجة عن وجود قيادات أو عناصر حزبية داخل مناطق سكنية كانت في دائرة الاستهداف، إلا أن جزءًا من الخطابات المتداولة على المنصّات الرقمية تجاوز هذا البعد الأمني، خصوصًا بعد استهداف مناطق مثل الحازمية أو عين سعادة، ضمن قراءة طائفية-سياسية للصراع. فتحوّلت التعليقات إلى تعميمات تطال جماعات بأكملها، أو إلى تساؤلات ضمنية حول «شرعية» وجود فئات تنتمي لطائفة معيّنة (نازحين ونازحات من الطائفة الشيعية) داخل بعض المناطق، وكأن الفضاء الجغرافي نفسه أصبح يُعاد تعريفه وفق منطق الانتماء الطائفي. هذه المواقف قابلها خطاب انتقد التركيز على الانتماء الطائفي للمناطق أو على وجود نازحين ونازحات من بيئات معينة داخلها، معتبرًا أن ذلك يعكس نزعة طائفية وإقصائية. إلا أن عددًا كبيرًا من هذه التفاعلات أعاد بدوره إنتاج قراءة هوياتية وطائفية للصراع، من خلال إعادة رسم ثنائية «الوطني» و«غير الوطني»، أو من خلال التلويح بالمحاسبة بعد الحرب ضمن منطق طائفي مماثل. كما عكست بعض التفاعلات نوعًا من المفاضلة الضمنية بين الضحايا والمناطق المتضرّرة، بحيث بدا أحيانًا وكأن التعاطف أو الغضب يتحدّدان انطلاقًا من الانتماء الطائفي أو السياسي المفترض للمنطقة المستهدفة، أكثر من ارتباطه بالخسائر البشرية نفسها.

في المحصّلة، ساهمت المنصّات الرقمية في تكثيف هذا النوع من القراءات المبنية على الهوية، خصوصًا مع الانتشار السريع للمضامين المشحونة عاطفيًا، وتحوّل التعليقات إلى مساحات للسجال الطائفي والسياسي. وفي كثير من الأحيان، بدا النقاش أقل ارتباطًا بالأحداث العسكرية نفسها، وأكثر ارتباطًا بإعادة رسم الحدود الرمزية بين الجماعات السياسية والطائفية داخل المجتمع اللبناني.

٣- السرديات المرتبطة بالخوف والتهديد الوجودي

ارتبطت بعض السرديات المتداولة خلال الحرب بإنتاج شعور دائم بالخوف والتهديد الوجودي، ليس فقط نتيجةً للعمليات العسكرية والخسائر البشرية أو لفقدان مواد أوّلية أساسية من الأسواق، بل أيضًا بسبب استعادة مخاوف جماعية مرتبطة بتاريخ الحرب الأهلية اللبنانية والانقسام الطائفي. فمع اتّساع العمليات العسكرية، عادت إلى الفضاء الرقمي لغة تستحضر مفاهيم «الحصار»، «الخطوط الحمر»، «الاختراق»، ثنائية «عندنا» و«عندهم» وغيرها، ما ساهم في إعادة تنشيط ذاكرة جماعية قائمة أصلاً على الخوف من الآخر وعلى جوّ من عدم الثقة بين المكوّنات، على الأقل على مستوى الخطاب الرقمي. أعادت هذه الخطابات إذًا إحياء تصورات ومخاوف مرتبطة بمرحلة الحرب الأهلية، سواء من خلال اللغة المستخدمة أو من خلال إعادة رسم الحدود الرمزية بين المناطق والجماعات.

من ناحية أخرى، ظهرت على منصّات التواصل الاجتماعي تعليقات تتعامل مع الحرب بوصفها تهديدًا وجوديًا لجماعات بعينها، سواء من خلال الحديث عن «استهداف الطائفة»، أو من خلال تصوير بعض المناطق وكأنها أصبحت مهدّدة ديموغرافيًا أو أمنيًا بسبب وجود جماعات أو نازحين ونازحات من خلفيات طائفية معيّنة. في هذا السياق أيضًا، لم تكن بعض النقاشات تدور حول التطوّرات العسكرية والأمنية فقط، بل حول الخوف من تغيّر التوازنات داخل المجتمع نفسه. وأدّت التعليقات دورًا أساسيًا في تكثيف الشعور بالخطر، إذ تحوّلت بعض المنصّات إلى فضاءات لتبادل الشائعات أو السيناريوهات المرتبطة بإمكانية توسّع الاعتداءات الإسرائيلية وانتقالها إلى الداخل اللبناني بصورة أشمل أو بإمكانية اندلاع حرب أهلية.

على صعيد آخر، امتدّ الشعور بالخوف أحيانًا إلى تفاصيل الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية داخل المناطق والأحياء. فقد ظهرت على المنصّات الرقمية نقاشات وتسجيلات وتحذيرات مرتبطة بمن يسكن أين، أو بمن يحقّ له الانتقال إلى بعض المناطق أو استئجار شقق فيها، إضافة إلى تصاعد الشكوك تجاه فئات اجتماعية معيّنة أو أشخاص يُنظر إليهم بوصفهم «غرباء» عن بيئة محلية معيّنة، أو أشخاص يتحرّكون باستمرار بين المناطق بحكم عملهم اليومي، وذلك في ظلّ انتشار شائعات أو اتّهامات غير مؤكّدة على تلك المنصّات.

شمل ذلك أحيانًا تعليقات حول عمّال التوصيل حيث تكرّرت الدعوات إلى التعامل معهم ضمن مناخ من الشكّ الأمني والحذر. كما ساهم التداول المكثّف لحوادث أمنية أو لاتّهامات غير مؤكدة، خصوصًا تلك المرتبطة بلاجئين أو نازحين سوريين في الفترة الأولى من الحرب، في تكثيف مناخ الخوف والريبة. وفي كثير من الأحيان، جرى تضخيم بعض الحوادث الفردية أو إعادة تداولها ضمن سياقات توحي بوجود تهديد أمني واسع، حتى من دون التحقّق من المعلومات المتداولة.

بهذا المعنى، لم تعد السرديات المرتبطة بالخوف والتهديد الوجودي متعلّقة فقط بالحرب نفسها، بل أيضًا بإنتاج شعور متزايد بعدم الأمان الاجتماعي، وبإعادة تعريف من يُنظر إليه بوصفه «آمنًا» أو «مريبًا» داخل الفضاءين العام والخاص.

٤- السخرية والتحقير ونزع الشرعية

ارتبطت السردية الرابعة التي تم رصدها على المنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي بالسخرية والتحقير ونزع الشرعية عن الطرف الآخر. ففي حالات كثيرة، لم تكن السخرية مجرد وسيلة للتعليق أو التعبير عن الموقف السياسي، بل تحوّلت أحيانًا إلى أداة لإعادة إنتاج خطاب عدائي بصورة تبدو أخف للوهلة الأولى، رغم ما تحمله من عنف رمزي وإقصاء للطرف المقابل.

على سبيل المثال، شكّل خبر «أنفاق الضاحية» مناسبة لظهور تعليقات ساخرة ومهينة تصف سكان بعض المناطق أو البيئات السياسية بأنهم يعيشون «تحت الأرض»، مع توسيع هذا الخطاب ليشمل أحيانًا جماعات أو قوى من خارج لبنان مرتبطة بأحد محاور الحرب الإقليمية، كانت تُختزل بأسماء مدن أو عواصم مثل غزة وصعدة وطهران. ولم يقتصر الأمر على السخرية من الروايات المفترضة أو من التنظيمات السياسية، بل امتد أحيانًا إلى تحقير جماعات كاملة وربطها بصور لا إنسانية. في المقابل، لم تخلُ الردود المضادّة من خطاب عدائي مماثل، فقد تضمّنت بعض التعليقات، ومنها تعليقات استندت إلى سردية «لولا المقاومة»، تهديدات مبطنة أو مباشرة، بالإضافة إلى استخدام لغة تقوم على الإذلال الرمزي والتخويف، خصوصًا من خلال استحضار صور مرتبطة بالاحتلال أو انتهاك الكرامة الشخصية والعائلية. كما ظهرت في بعض التفاعلات شتائم ذات طابع جندري استهدفت النساء بصورة خاصة ومباشرة، ما يعكس تداخل الخطاب السياسي والطائفي مع أنماط أوسع من العنف اللفظي والرمزي.

في خبر آخر مفبرك نُشر بتاريخ ٢٠ نيسان ٢٠٢٦ وادّعى سيطرة الجيش الأميركي على سفينة إيرانية واعتقال طاقمها، برزت تعليقات تستخدم أوصافًا جماعية تحقيرية تجاه جماعات دينية أو سياسية معيّنة، بحيث تحوّلت السخرية هنا إلى وسيلة لنزع الشجاعة أو الكرامة أو الشرعية الوطنية عن الطرف الآخر.

هذه المواقف تبعتها ردود مضادّة اتخذت بدورها طابعًا ساخرًا وتحقيريًا مشابهًا، حيث أعادت إنتاج خطاب يقوم على الإهانة الرمزية ونزع الشرعية الوطنية أو الأخلاقية عن الطرف المقابل (سواء كان مجموعة دينية، سياسية، جغرافية، أو مرتبط بجنسية)، ما حوّل جزءًا من التفاعلات الرقمية إلى مساحات للتجريح المتبادل أكثر من كونها نقاشات مرتبطة بمضمون الخبر نفسه. بالتالي، بدا الهدف من هذه التفاعلات، في الكثير من الأحيان، ليس التعبير عن موقف سياسي فقط، بل أيضًا إهانة الخصم وتقويض صورته الأخلاقية أو الوطنية أمام الجمهور الرقمي.

لم تقتصر السخرية على المواقف السياسية، بل امتدّت، في بعض الأحيان، إلى التعامل مع الدمار أو الخسائر في بعض المناطق بوصفها مادة للتندّر أو للتشفّي الرمزي، خصوصًا عندما كانت المناطق المستهدفة تُختزل في انتمائها السياسي أو الطائفي. في هذا الإطار، ساهمت الصور الساخرة والميمز (Memes) والتعليقات القصيرة على المنصّات الرقمية في تكثيف هذا النوع من الخطاب. وفي عدد من التفاعلات من الطرفين، ارتبطت السخرية أيضًا بالتشكيك في الشجاعة أو «الرجولة» أو الاستعداد للتضحية، ما أعاد إنتاج تصوّرات ثقافية وجندرية مرتبطة بالحرب والذكورة والقوة. كما تجاوز الخطاب الساخر في بعض الحالات حدود التهكّم السياسي ليقترب من أشكال من التجريد الرمزي من الإنسانية، من خلال استخدام أوصاف حيوانية أو دونية تجاه جماعات أو بيئات كاملة.

في المحصّلة، أظهرت هذه التفاعلات كيف يمكن للسخرية أو اللغة التهكمية أن تتحول إلى أدوات لتطبيع الإقصاء الرمزي والتحقير الجماعي داخل الفضاء الرقمي، خصوصًا في سياقات الحرب والاستقطاب الحاد.

رابعًا:

دور المنصّات الرقمية في تضخيم السرديات وتأثيرها على الفضاء العام

لا يمكن فصل انتشار هذه السرديات عن طبيعة عمل المنصات الرقمية ودورها في تضخيم الانقسامات والخطابات التحريضية. فالتعليقات تؤدي إلى تضخيم الانقسام وشحن المشاعر، فيما تساهم الخوارزميات في إبراز المضامين الاستقطابية وتوسيع انتشارها[1]، ما يخلق حلقة متواصلة من إعادة إنتاج السرديات الانتقائية التحريضية. وتساهم مفاهيم مثل «فقاعات الترشيح» (Filter Bubbles)[2] و«غرف الصدى» (Echo Chambers)[3] في تعزيز هذا النوع من التفاعلات، من خلال تعريض المستخدمين والمستخدمات بصورة متكررة لمضامين وآراء متشابهة، ما يعزّز الانغلاق داخل الجماعات السياسية والطائفية ويحدّ من التعرض لوجهات نظر مختلفة.

لا يمكن طبعًا تجاهل طبيعة بعض الحسابات المستخدمة في النقاشات الرقمية، بما في ذلك الحسابات المجهولة، الآلية (Bots) أو غير الواضحة الهوية، والتي ساهمت في تكثيف مناخ الاستقطاب والتصعيد اللفظي. ورغم أن هذا التقرير لا يهدف إلى التحقق التقني من طبيعة هذه الحسابات، فقد بدت بعض التفاعلات في بعض الحالات وكأنها جزء من حملات منسّقة وممنهجة أو من إعادة نشر مكثّفة لمضامين متشابهة، ما عزّز الشعور بوجود تعبئة رقمية مستمرّة حول بعض القضايا أو السرديات.

من ناحية أخرى، لا يُنظر إلى المحتوى على أنّه مجرّد معلومات، بل كدليل على موقف سياسي أو مجتمعي (في الحالة المدروسة موقف طائفي أو مرتبط بالاصطفافات السياسية السائدة). بالتالي، لا يعود التفاعل مع المنشورات مرتبطًا بصحة المعلومات أو دقتها أو حتى سياقها فقط، بل يتحول أحيانًا إلى وسيلة لإعلان الانتماء أو التعبير عن التضامن مع جماعة سياسية أو طائفية معيّنة والتهجم على الجماعة أو الجماعات الأخرى. ففي الكثير من الأحيان، بدت التعليقات وكأنها تسعى إلى تحديد «من معنا» و«من ضدنا» أكثر من سعيها إلى مناقشة مضمون الخبر نفسه أو التحقق منه. هكذا، تحوّلت المنصات الرقمية إلى فضاءات لإعادة تأكيد الانتماءات الجماعية وإعادة إنتاج الحدود الرمزية بين الجماعات السياسية والطائفية.

1- Gillespie, Tarleton (2014). “The Relevance of Algorithms”, in Media Technologies. Essays on Communication, Materiality, and Society, MIT Press, pp. 167-194.
2- Pariser, Eli (2011). The Filter Bubble. What the Internet Is Hiding from You, The Penguin Press.
3- Cinelli, Matteo et al. (2021). “The echo chamber effect on social media”. Proceedings of the National Academy of Sciences, 118(9). URL: https://doi.org/10.1073/pnas.2023301118.

هكذا، لا تبدو المنصات الرقمية مجرد فضاءات لنقل الأخبار أو تداول المواقف، بل تتحول أحيانًا إلى بيئات تُعاد داخلها صياغة الانقسامات السياسية والطائفية بصورة يومية ومتواصلة. ولا يقتصر تأثير هذه السرديات على الفضاء الرقمي نفسه، بل يمتدّ إلى طبيعة الحوار العام وإلى إمكانيات النقاش الديمقراطي داخل المجتمع. فمع تصاعد الخطابات التحريضية والتفاعلات القائمة على التخوين، الخوف أو نزع الشرعية، تتراجع إمكانيات النقاش الهادئ أو التعدّدي، لمصلحة منطق المواجهة والاستقطاب. كما يساهم العنف الرمزي المتبادل في تعميق انعدام الثقة بين الجماعات السياسية والطائفية، وفي إعادة إنتاج الانقسامات داخل الفضاء العام اللبناني.

الخـاتمة

أظهرت هذه القراءة كيف ساهمت الحرب المندلعة في آذار ٢٠٢٦ في إعادة تنشيط السرديات الطائفية والاستقطابية داخل الفضاء الرقمي اللبناني، ليس من خلال تداول الأخبار أو المضامين المثيرة للجدل فقط، بل أيضًا عبر طبيعة التفاعلات والتعليقات التي رافقتها. وقد بيّن التحليل أن الخطابات المتداولة لم تكن مرتبطة بالأحداث أو بالمعلومات بحدّ ذاتها فقط، بل تحوّلت في كثير من الأحيان إلى وسائل لإعادة تأكيد الانتماءات السياسية والطائفية، وإعادة رسم الحدود الرمزية بين الجماعات داخل الفضاء العام.

كما ساهمت المنصّات الرقمية، من خلال منطق التفاعل والخوارزميات التي تعطي أولوية للمحتوى القادر على إثارة الانفعال والاستقطاب، في توسيع انتشار الخطابات التحريضية وتعزيز حضورها داخل النقاشات العامة. فهذه المنصّات ليست مجرد فضاءات لتبادل الأخبار أو التعبير عن الرأي، بل تتحوّل أحيانًا إلى ساحة لإعادة إنتاج الانقسامات السياسية والطائفية بصورة يومية ومتواصلة، ولإعادة تشكيل التصورات الجماعية والهويات السياسية والطائفية أيضًا.

في هذا السياق، لا تبدو أهمية هذه السرديات مرتبطة بمضمونها المباشر فقط، بل أيضًا بتأثيرها على طبيعة الحوار العام، على مستويات الثقة بين الجماعات المختلفة، وعلى إمكانيات النقاش الديمقراطي داخل مجتمع يعاني أصلاً من انقسامات سياسية وطائفية عميقة. فكلما تعزّزت الخطابات القائمة على التخوين أو الخوف أو نزع الشرعية، تراجعت فرص بناء أرضية مشتركة للنقاش حول القضايا العامّة. كما قد تؤدي هذه السرديات إلى إعادة تفسير الأحداث والمواقف انطلاقًا من الانتماءات والهويات المسبقة، بما يحدّ من إمكانيات الحوار بين الجماعات المختلفة ويعزّز منطق الاصطفاف والمواجهة.

LADE
الجمعية اللبنانية من أجل
ديمقراطية الانتخابات

Sodeco, Petro Trad St.,
Sodeco 7 Bldg., 5th Fl.,
Beirut, Lebanon
+961 1 333713/4
info@lade.org.lb
lade.org.lb